



عمليات التطهير demografique التي تقوم بها إيران تحت نظر روسيا لا تشي بأن البلدين يتجهان إلى تسوية قريبة في سوريا، وخاصة روسيا التي لم يعد هناك شك بأنها تخوض حربها في سوريا في إطار صفة كبرى، على الأقل فيها طرف ثان واضح حتى اللحظة وهو إدارة أوباما.

يشترط في نجاح عمليات التطهير استمرار مناخ النزاع لمرحلة أطول وذلك حتى يتسع موضع الإجراءات التي تتم في إطار هذه العملية وترسيخها، ذلك أن أي تسوية من شأنها إلغاء وتفكير كل ما سبق من إجراءات بهذا الخصوص وإعادة الأمور إلى سابق عهدها قبل أن يحولها الزمن إلى واقع راسخ يصعب تغييره.

كما تشرط هذه العملية اندماج أصحاب الأرض الأساسيين ضمن جغرافية مجتمعات بعيدة بحيث تصبح إمكانية عودتهم ضعيفة ويتحول هذا الأمر إلى أحد العناصر المساعدة على تكريس الواقع الجديد وتثبيته كحقيقة دائمة، وهذا الأمر يستلزم فاصلاً زمنياً بين فترة لجوء الهاجرين من بلدتهم وفترة تثبيت عملية توطين الذين يحلون أماكنهم.

ولعل الشرط الأهم في هذه العملية يتمثل بخلق وقائع جديدة وأحداث تجعل الطرف الآخر يخوض من سقف مطالبه ويتنازل عن حقوقه السابقة ويقبل أي شيء يعرض عليه مع إصاله إلى قناعة بأن لا شيء مضمون وممكن وأن مجرد السلامه والاستمرار في الحياة هما بحد ذاتهما مكاسب مهمة واقتناص جرى التحصل عليه من قلب مجررة لم يخرج منها سالما إلا كل صاحب حظ.

أين العامل الروسي في ذلك؟

ينصب المجهود الحربي والدبلوماسي الروسي في سياق تحقيق هدف التطهير demografique، وعلى عكس ما يشاع عن وجود خلاف روسي - إيراني، وعن إستراتيجية روسية تهدف إلى التمهيد لإخراج بشار الأسد من اللعبة السورية، فإن التدخل الروسي يشكل إضافة نوعية في عملية التطهير demografique، فهو عدا عن كونه يكمّل السياق الذي أسّسته إيران ووكلها الأسد في هذه العملية ويترشد بهما في تصميم بنك أهدافه، فهو كذلك يضيف لهذه العملية عناصر جديدة تدعم فعاليتها وذلك من خلال:

- تحطيم المجتمعات المحلية في سوريا وتدمير ركائز قوتها، حيث تركز الحملة الجوية على ضرب المفاصل الحيوية

والبني التي تساعد هذه المجتمعات على استمرار الحياة، مثل المستشفيات والأسواق ومتاجر بيع الوقود وطرق مواصلات استيراد السلع والمنتجات، وذلك بهدف دفع هذه المجتمعات إلى البحث عن بدائل أخرى وغالباً ما تكون بالهجرة واللجوء.

- تحطيم البدائل العسكرية والسياسية، وذلك من خلال عمليات القتل أو عدم قبول الأشخاص الممثلين للمعارضة والتشكيك بتمثيليتهم واتهامهم بالإرهاب، ولعل الهدف الروسي من وراء ذلك هو تجريد المجتمعات المحلية التائرة من كل عناصر قوتها و كل ما من شأنه تمكينها سياسياً وعسكرياً ودفعها إلى الاستسلام.

- تقوية النفوذ الإيراني عبر منحه الفرصة للت蔓延 والترسخ بشكل أكبر بعد أن كادت تنثار ركائزه نتيجة صمود المجتمعات المحلية ومقاومتها له على مدار السنوات السابقة.

بالنسبة لروسيا فهي معنية بتغيير الخريطة الديمغرافية في المنطقة لاعتقادها أنها تشكل قلب المنطقة السنوية والتي تشكل إحدى أهم دوائر إستراتيجيتها في العودة إلى المسرح الدولي باعتبارها قوة مقررة في النظام الدولي، فبالإضافة إلى الضغف الكياني في هذه المنطقة بحيث يسهل اختراقها، فإن هذه المنطقة تفتقر لأطر دفاعية على المستوى الإقليمي لمواجهة الت蔓延 الروسي، وتهدف موسكو من هذا الانخراط في عملية التطهير الديمغرافي إلى خلق فراغات في المنطقة السنوية المتاخمة لحدودها في العراق وسوريا بما يشكل إضعافاً للوجود الإسلامي في القوقاز ويجرده من عمقه الإستراتيجي في بلاد الشام التي تربطه فيها روابط إجتماعية وثقافية.

على ذلك فإن التكتيكات المتوقعة ممارستها في المرحلة القادمة من قبل روسيا وإيران في المجال السياسي ستتمثل بخلق المزيد من الذرائع لتعطيل العملية السياسية وتمييعها مثل عدم القبول بالتركيبة التفاوضية التي أقرها مؤتمر الرياض أو اللالعب بالتفسيرات الخاصة بالقرار 2254 وبالإطار الزمني الخاص بتنفيذ مندرجات القرار، وذلك لإدراكهما أن الزمن السوري صار يقاد بحجم عمليات التفريغ الحاصلة وكل يوم زيادة في النكبة السورية يشكل فرصة في عملية التطهير الديمغرافي، وهنا لا بد من التنبه لمسألة مهمة أن عنصر التكاليف المادية التي يراهن عليها العالم بأنها ستكون الجنرال الذي سيهزم إيران لا تشكل عنصراً وزناً في حسابات إيران التي تخوض حربها في المشرق من منطلقات أيديولوجية ولا تبدو طهران معنية بمثل هذه الحسابات ما دامت قم هي من يقرر الإستراتيجيات وما دام الولي الفقيه هو من يحدد التوجهات.